المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائي

م.م. جليل محمدوف
جامعة اذربيجان للغات- اذربيجان

المقدمة

يُعدّ النحو العربي من أهم العلوم التي نشأت في الحضارة الإسلامية، إذ ارتبط نشأته ارتباطًا وثيقًا بالحفاظ على سلامة اللغة العربية وصون القرآن الكريم من اللحن والتحريف. وقد أدّى تطوّر الدرس النحوي وتعدّد مناهجه إلى ظهور مدارس علمية مختلفة، كان من أبرزها مدرستا البصرة والكوفة، اللتان مثّلتا اتجاهين متمايزين في النظر إلى القضايا النحوية والاستدلال عليها.

ومن بين القضايا التي أثارت جدلًا واسعًا بين علماء المدرستين، برزت المسألة الزنبورية، التي تحوّلت من مسألة إعرابية جزئية إلى رمز للخلاف المنهجي بين البصريين والكوفيين. وقد حظيت هذه المسألة باهتمام كبير في كتب التراث، لما صاحبها من أبعاد علمية واجتماعية وسياسية. ومن هنا تأتي أهمية إعادة دراستها دراسة علمية نقدية، بعيدة عن الأحكام المسبقة، للكشف عن حقيقة الموقف النحوي لكل من سيبويه والكسائي.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في أن الحكم الشائع حول المسألة الزنبورية غالبًا ما يُنقل في المصادر التراثية دون تحليل نقدي كافٍ، مع إغفال العوامل غير العلمية التي قد تكون أثّرت في نتيجة المناظرة. كما أن بعض الدراسات الحديثة اكتفت بسرد الروايات التاريخية دون التعمّق في الأسس النحوية التي بنى عليها كل من سيبويه والكسائي رأيه، مما يستدعي دراسة تحليلية تعيد تقييم هذه المسألة في ضوء أصول النحو العربي وقواعده.

أسئلة البحث

يسعى هذا البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما الخلفية التاريخية والعلمية لنشأة الخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة؟

ما الأسس النحوية التي اعتمد عليها سيبويه والكسائي في المسألة الزنبورية؟

هل كان الحكم الذي انتهت إليه المناظرة حكمًا علميًا خالصًا أم تأثّر بعوامل خارجية؟

أيّ الرأيين أقرب إلى أصول النحو العربي وشواهده من القرآن الكريم والشعر العربي؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

تحليل المسألة الزنبورية تحليلًا نحويًا علميًا دقيقًا.

إبراز المنهج النحوي لكل من مدرستي البصرة والكوفة من خلال هذه المسألة.

تقويم آراء سيبويه والكسائي في ضوء القواعد النحوية والشواهد اللغوية.

الإسهام في تصحيح بعض الأحكام التاريخية المتعلقة بالخلافات النحوية.

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول قضية محورية في تاريخ النحو العربي، تُظهر طبيعة الخلاف العلمي بين كبار النحويين، وتكشف عن أثر العوامل الاجتماعية والسياسية في توجيه بعض الأحكام العلمية. كما يسهم البحث في تعميق فهمنا للتراث النحوي، ويؤكد ضرورة قراءته قراءة نقدية واعية، بما يخدم الدراسات اللغوية العربية المعاصرة.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي–التحليلي، من خلال تتبّع الروايات الواردة في المصادر التراثية حول المسألة الزنبورية، وتحليل النصوص النحوية ذات الصلة، ومقارنة آراء سيبويه والكسائي في ضوء أصول النحو العربي. كما يوظّف البحث المنهج النقدي في تقويم النتائج، مع الاستفادة من شواهد القرآن الكريم والشعر العربي، وآراء العلماء القدامى والمحدثين.

الكلمات المفتاحية: قضية الزنبورية ، النحو العربي، سيبويه، الكسائي، المدرسة البصرية، مدرسة الكوفة، الخلاف النحوي، الإيذاء المفاجئ، العربية الفصحى، التحليل النحوي

The Zunbūriyya issue between Sibawayh and al-Kisāʾī

Jalil Mammadov

Abstract

The Zunbūriyya issue represents one of the most prominent grammatical controversies in the history of Arabic linguistics and serves as a clear reflection of the methodological differences between the Basran and Kufan grammatical schools. This study examines the historical and linguistic background of this dispute through an analytical reading of the famous debate between Sibawayh، the leading figure of the Basran school، and al-Kisāʾī، the prominent representative of the Kufan school. The research focuses on the grammatical analysis of the controversial construction involving the sudden idhā (إذا الفجائية) and the syntactic status of the predicate sawāʾ (سواء)، highlighting the theoretical foundations upon which each scholar based his argument.

By adopting a descriptive–analytical approach، the study revisits classical grammatical sources and evaluates the reported outcome of the debate in light of established principles of Arabic grammar، Qurʾānic usage، and authentic Arabic poetic evidence. The findings suggest that the prevailing judgment in favor of al-Kisāʾī was not purely linguistic، but was influenced by social and contextual factors، whereas Sibawayh's position remains more consistent with the grammatical system of Classical Arabic. This research underscores the importance of critically reassessing classical grammatical controversies and contributes to a deeper understanding of the intellectual dynamics that shaped early Arabic grammatical theory.

Keywords :Zunbūriyya issue، Arabic grammar، Sibawayh، al-Kisāʾī، Basran school، Kufan school، grammatical disagreement، sudden idhā، Classical Arabic، syntactic analysis

مقدمة

تم تأسيس المبادئ الأساسية للنحو العربي على يد تلميذ الإمام علي (ع) (توفي 40هـ/ 661م) أبو الأسود الدؤلي (توفي 69هـ/ 688م) بتشجيع منه. ومن أهم ما تناولته الدراسات حول قواعد اللغة العربية هو دقة وسلامة تطبيق النهايات الإعرابية للكلمات في تراكيب الجمل والعبارات. وقد جرت مناقشات متكررة بين مدرستَي النحو الرئيسيتين البصرة والكوفة حول هذه المسائل، وتم تأليف العديد من المؤلفات في هذا المجال. ومن أبرز هذه المناقشات المجلس الذي جمع بين سيبويه من مدرسة البصرة، وعلي بن حمزة الكِسائي من مدرسة الكوفة، والذي عُرف في التاريخ باسم "المسألة الزنبورية". وقد انتهت هذه المناقشة بانتصار الكِسائي وفق تقييم الحاضرين. ويمكن عزو هذا الحكم إلى عدة عوامل، منها انتماء غالبية المشاركين إلى مدرسة الكوفة، واستعداد الكِسائي المسبق، واعتماده على شهادات البدو الحاضرين في الجلسة، وتركيزه على مسألة فجائية (الفجائية) وإسنادها لشهادات البدو، الأمر الذي أحبط سيبويه وأدى إلى مرضه ومن ثم وفاتZabīdī)،n.d ، p. 26). وقد اعتُبرت هذه الحادثة وصمة سوداء في تاريخ علوم اللغة العربية، ولذلك فإن "المسألة الزنبورية" تستحق التحليل والتقييم من قبل مؤرخي الأدب العربي والمؤرخين عموماً لحضارة الإسلام.

يستعرض الجزء الأول من البحث موضوع الاختلافات بين المدارس النحوية، ويبحث بشكل خاص المدرستين الرئيسيتين وأعضائهما. ثم تتناول الدراسة المسألة الزنبورية، وتستعرض آراء العلماء المتعلقة بها، وتنتقد النتائج، مؤكدة صحة موقف سيبويه.

تتميز اللغة العربية بكونها لغة القرآن الكريم، وبخصائصها الخاصة التي تميزها عن باقي اللغات. ومن أجل دراسة دقة هذه اللغة بصورة أعمق، من المهم بحث المواضيع الخلافية بدقة. وتعد "المسألة الزنبورية" من هذه المواضيع الهامةIbn Manẓūr) ،AH 1414 ، .Vol 9، p. 90) . وقد تناول بحثنا هذه المسألة بين سيبويه (توفي 180هـ/ 796م) وعلي الكِسائي (توفي 189هـ/ 805م)، مع الإشارة إلى آراء العلماء الآخرين حول الموضوع.

تضمنت الدراسة معلومات عامة عن مدارس النحو، مع التركيز على مدرستي البصرة والكوفة، ومناقشة مفهوم الخلاف في الأدب العربي. ثم تم تناول استخدام أداة "إذا" بمعناها الفجائي وخصائصها الدلالية، قبل عرض المسألة الزنبورية بالتفصيل مع عرض آراء سيبويه والكِسائي والعلماء الآخرين، ليتم بذلك استكمال البحث(Al-Zabīdī .، p. 254) ، Vol. 23،1422 AH

الخصائص العامة للبحث

مع توسع رقعة الإسلام، بدأ غير العرب بالاعتناق والإطلاع على القرآن الكريم، مما استدعى دراسة النحو واللغة العربية لتصحيح الأخطاء اللغوية وضمان فهم صحيح للنصوص. وقد بدأت هذه الدراسات اللغوية أولاً في العراق، ثم امتدت لاحقاً إلى مناطق أخرى، مثل باقي المجالات العلمية، مع ظهور اختلافات في الرأي أدت إلى نشوء مدارس نحوية مختلفة.

شملت دراسات النحو دقة استخدام النهايات الإعرابية للكلمات، وكذلك دراسة التغيرات التي تطرأ على الكلمات داخل الجملة أو تراكيب الكلمات(Al-Dayf ،AH 1387 ، p. 11) . وقد ظهرت الخلافات بين علماء المدارس النحوية في أزمنة مختلفة، ومن هذه الخلافات المهمة ما يعرف بـ "المسألة الزنبورية"، التي شغلت علماء المدرستين الرئيسيتين في ذلك العصر.

مدارس النحو العربي

تقع البصرة على بعد حوالي 420 كم جنوب شرق بغداد. تأسست المدينة في زمن كلدان، في سنوات 14/ 635، 16/ 637 أو 17/ 638 هـ. وقد وصفها الشويقي ضيف بأنها "بصرة، مؤسس علم النحو". ونشأت الدراسات النحوية الأولى نتيجة دوافع دينية واجتماعية، منها الحرص على قراءة القرآن الكريم بشكل صحيح وتجنب تحريف معانيه، والتوسع الإسلامي الذي زاد من عدد المتحدثين بالعربية وحاجة غير العرب لتعلم اللغة وتجنب الأخطاء(Al-Zabīdī ،AH 1407 ، p. 61) .

كان قرب البصرة من الصحراء يساعد على التواصل مع العرب الفصحاء، مما ساعد على انطلاق النشاط العلمي فيها، وكان أبو الأسود الدؤلي أول من أسس علم النحو فيها. ومن أبرز علماء البصرة في النحو واللغة العربية: خليل بن أحمد الفراهيدي (توفي 175هـ/ 791م) وسيبويه.

ولد سيبويه، أبو بصر عمر بن عثمان بن قنبر الهاريسي، بين 135–140هـ/ 752–757م بالقرب من شيراز، في عائلة فارسية، ثم انتقل إلى البصرة لطلب العلم، ودرس الحديث على يد حماد بن سلمة بن دينار (توفي 167هـ/ 784م)(Tantāwī، n.d، p. 16) . لاحقاً توجه إلى علوم النحو على يد معلمي البصرة ومنهم خليل الفراهيدي، وكتب كتابه الشهير "الكتاب"، الذي يعد أهم مؤلفاته في النحو.

أما الكوفة، فقد أسسها في الفترة ما بين 635–640م على ضفاف الفرات الغربي، جنوب خرائب بابل. بدأت مدرسة الكوفة النحوية بالاستفادة من مدرسة البصرة، ثم أصبحت مستقلة في القرن الثاني الهجري، وكان أبو جعفر الرواسي من مؤسسيها. وقد كان لأبي الحسن علي بن حمزة الكِسائي دور بارز في تطويرها، ودرس القرآن على كبار القراء، وألف العديد من المؤلفات مثل "متشابه القرآن"، و"قراءة الكِسائي"، و"معاني القرآن"، و"آثار في القراءة."

الخلافات الأساسية بين مدرستي البصرة والكوفة

لم تشهد المدارس النحوية خلافات مهمة في عهد الرواسي، إلا بعد الكِسائي بدأت تظهر الخلافات بشكل واضح، خصوصاً في مسائل النحو المتعلقة بإعراب الكلمات وموقعها في الجملة، بينما كانت الخلافات في الصرف محدودة(ʿAbd al-Ḥamīd، 1414 AH، pp. 39–40)

كانت المناقشات النحوية تركز على الإعراب ووضع الكلمات في الجملة: هل الكلمة مبتدأ أم خبر، فاعل أم مفعول، وظيفتها كظرف أو تمييز، وهل الجملة اسمية أم فعلية. أما الخلافات الصرفية فكانت في باب الفعل وأحرفه الأساسية والفرعية

2.1 استخدام أداة "إذا"

توجد خلافات بين العلماء حول كون "إذا" اسمًا أو حرفًا. الأكثر قبولاً أنها اسم، ولها أربع استخدامات:

1. إذا كشرط: تُعمل كظرف زمن للمستقبل، وغالباً يليها فعل ماضٍ لكن بمعنى المستقبل.

- وفقاً للبصرة: إذا جاء فعل مضارع بعد "إذا"، فلا يُعرب فعله على صيغة الشرط، ويجب أن يكون الشرط والفعل المستجيب مستقلين.
- وفقاً للكوفة: يجب إعراب الفعل بعد "إذا" على صيغة الشرط.

2.2 إذا الفجائية (إِذَا الْفُجَائِيَّةُ)

أصلها من الفعل فَجَأَ بمعنى حدوث مفاجئ، ويُقال "إِذَا الْفُجَائِيَّةُ" عند بدء الجملة بفعل مفاجئ. هناك ثلاثة آراء حول إعرابها: بعض العلماء يرونها ظرف زمن، سيبويه وأقرانه يرونها ظرف مكان، بينما الكوفيون يرونها حرفًا لا اسمًا (Ez-Zaʿbī، n.d.، p. 37).

2.3 المسألة الزنبورية

خلاف مشهور بين سيبويه والكِسائي، ويُعرف بـ "المسألة الزنبورية."سرد الرواية: حضر سيبويه مجلساً مع الوزير البَرْمَكي لمناقشة الكِسائي، واجه سيبويه اعتراضات من علماء الكوفة، ثم حضر الكِسائي ومعه البدو، وأيد البدو موقف الكِسائي.

مثال مشهور: ظننت أن عضة الزنبور أشد من عضة العقرب فإذا هما سواءٌ / سواءً؟

سيبويه: "يجب أن تكون 'سواءٌ' مرفوعاً، والمفعول به غير صحيح".

الكِسائي: يمكن أن تُرفع أو تُنصب (Abū Ḥayyān، n.d.، Vol. 3، p. 1088)

هناك روايات عن تأثير سياسي ودعم مالي لأهل الكوفة لتأييد الكِسائي، مما أثر على النتيجة.

 ISBN 978-9922-9838-7-5

الخاتمة

بدأت الدراسات اللغوية في البصرة ثم انتقلت للكوفة، ونتيجة ذلك ظهرت مدارس نحوية مستقلة.

أحد أبرز الخلافات كان "المسألة الزنبورية"، والتي تبين اختلاف منهج كل مدرسة وأهميتها في فهم النصوص العربية بشكل صحيح، سيبويه كان على الحق وفق القرآن والسنة والشعر، بينما الكِسائي بالرغم من علمه الكبير ارتكب خطأً في هذه المسألة.

المصادر والمراجع:

1. ʿAbd al-Ḥamīd، M. M. (1414 AH). *Sharḥ Qaṭr al-nadā wa-ball al-ṣadā*. Beirut: Al-Maktaba al-ʿAṣriyya.
2. Al-Baghdādī، ʿA. Q. (n.d.). *Khizānat al-adab wa-lubb lubāb lisān al-ʿArab* (Vol. 10، pp. 265–266).
3. Al-Dayf، S. (1387 AH). *Al-Madāris al-naḥwiyya*. Cairo: Dār al-Maʿārif.
4. Al-Murādī. (n.d.). *Al-Janā al-dānī fī ḥurūf al-maʿānī*.
5. Al-Sīrāfī. (n.d.). *Sharḥ Kitāb Sībawayh* (Vol. 3، p. 370).
6. Al-Zabīdī، ʿA. L. b. A. B. S. (1407 AH). *Iʿtilāf al-nuṣra fī ikhtilāf nuḥāt al-Kūfa wa-l-Baṣra* (T. Jannābī، Ed.). Beirut: ʿĀlam al-Kutub.
7. Al-Zabīdī، M. b. M. (1422 AH). *Tāj al-ʿarūs min jawāhir al-Qāmūs* (Vol. 23، p. 254). Kuwait: Wizārat al-Irshād wa-l-Anbāʾ.
8. Ibn Manẓūr، M. b. M. (1414 AH). *Lisān al-ʿArab* (Vol. 9، p. 90). Beirut: Dār Ṣādir.
9. Sībawayh. (n.d.). *Al-Kitāb* (Vol. 3، p. 144).